تحولات الكتابة عند عمار بلحسن بين مطارحات الهوية وأسئلة الاختلاف

– مقاربة فلسفية –

Transformations of writing when Ammar Belhassan between the challenges of identity and questions of difference

- Philosophical Approach -

د. عبد القادر لصهب – المركز الجامعي مغنية

lashababdelkader@gmail.com

د. أحمد أمين دواح - المركز الجامعي مغنية

Wajih-001@live.fr

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2020/01/13	2020/01/22	2020/06/01

مُلَخَّصُ البَحث

المتن الأدبي – كما النقدي - عند عمار بلحسن قيمة إبداعية لها سجالاتها الموضوعاتية المؤطرة لها ، حيث تصنع تجربة الكتابة حيزها من حيثيات للحضور ولاستجلاء الذات عبر تموّجات الخطاب ، لتتمثّل أسئلةً تتقلص أحيانا لاحتضان هويةٍ خصوصيةٍ تقبع في خرائط "الذات " / الأنا الفردية وتتمدّد أحايينَ أخراة لملامسة فضاءات المعايَنَة الفاحصة للخطوط الموازية لتلك الهوية ؛ خطوط تصنع هوامش للاختلاف والمغايَرة .

وباعتبار الكتابة أيقونة جامعة لطروحات " الخاص " و" الجمعي " فقد ظلّ دوما يخوض في ثنائيات العودة نحو الذات/ الأنا والسياحة في عوالم الوجود ليرسم واقعا تتمطّى خرائطه وحدوده التعبيرية حسب سياقاته النصية.

ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول بسط التفاصيل المعايِنَة لقيم النص التعبيرية بين مطارحات الهوية باعتبارها مجالا للرؤية الخصوصية المتجلية في استحضار " الأنا " وأسئلة الاختلاف النابعة أساسا من الوعي بهذه " الأنا " وبهوامشها التي تؤطر خلفيات " السؤال " المعبِّر عن فيوضات استشعار الواقع والمأمول ؛ أو الكائن والممكن .

الكلمات المفتاحية: الكتابة – الهوية – الاختلاف – الواقع – المأمول .

Abstract

The literary text of Ammar Belhassan is a creative value for its thematic debates. The experience of writing makes its place in terms of presence and self-discovery through the discourse. The questions are sometimes reduced to embracing a specific identity that lies in individual self-maps. To touch the viewing spaces of the parallel lines of that identity; lines that create margins for difference and variance.

As a university icon of the "private" and "collective" expositions, he has always been engaged in the dualism of self-return / ego and tourism in the realms of existence to paint a reality whose maps and expressive boundaries are dictated by its textual contexts.

Through this paper, we will attempt to delineate the preview of the values of expressive text between identity chases as a field of private vision manifested in the evocation of the ego and questions of difference stemming primarily from the awareness of this ego and its margins that frame the "question" Object and possible.

key words: Writing - Identity - Difference - Reality - Hope.

1- الكتابة / النص والهوية :

يظل النص يتمثل السياق الاجتماعي و الثقافي الذي يؤطره كمعطى أدبي ؛ سياق يشترك فيه الأديب / المبدع و المتلقي معا ، و من ثم لا يمكن تصور نص خارج سياقاته البيئية الخارجية التي تعكس سيرورة و تواصل الأديب / الشاعر مع ما يحيطه من تفاعلات اجتماعية و ثقافية لها زخمها المفضي الى تبلور النص كقيمة موازية مع ما يتحرك خارجه ، و من ثم يغدو النص استجابة لهذه المؤثرات وخزونا لها في آن .

و من ثم تأخذ القضية بعدها التساؤلي حول "هوية النص " تلك الإشكالية التي باتت تأخذ طريقها الى الطرح النقدي المعرفي المعاصر باعتباره النص فضاء للتماهي , حيث يغيب الكاتب / المبدع بين قضايا النص أو " يموت" بتعبير رولان بارث . و لا يعود المجال مفتوحا الا لتلك الشحنات التعبيرية التي يتمتع بها النص و يحيلها إلى مغاليق تتأبى على المنهج . بل و تفرض طرائقه و آلياته الإجرائية .

و من ثم تغدو مطارحة النص في بعده "الهوياتي" بمثابة بحث في تموجات البسط التعبيري للنص، وذلك باعتباره دفقا يؤسس لهوية متعددة الأبعاد أو لأسس القطبية مشكّلة لها .

إنها أسئلة لا تتأتّى مشروعية فروضاتها الا من خلال مقارعة تلك الشحنات التعبيرية التي يضج بها في النص، و ذلك من خلال محاورة مختلف الأفنومات المشكلة مفهوم "الهوية" والتي نجدها مطروحة على قارعة " الرؤية".

وإذا أخذنا بالحسبان مسألة " الهوية اللغوية " للنص ؛ باعتباره نظما جزائري القضية ، هل يمكن أن يؤسس هذا لهوية النص ؟.

قد نقف عند مفهوم " الهوية " لنبحث في مدلولاته الإبستيمولوجية ، والتي لا تعبّر عن مفهوم جامد، وإنما تعني الأخذ بأنماط حضارية تمدّنا بالمنهج السليم والمعرفة الواعية بالذات وبعلاقتها بما يؤطّرها من عوامل زمانية / تاريخية ومكانية/ جغرافية ، فـ " لكلّ مرحلة مجتمعية وتاريخية هويتها المعبّرة عن مكتسباتها ومنجزاتها وممارساتها وأفكارها وعقائدها وقيمها وأعرافها السائدة ، لكن ليست ثمّة استمرارية لهوية ثابتة جامدة طوال التاريخ ، فهذه رؤية شكلية للهوية ، تغلب عليها الطبيعة لا التاريخ الذي هو جوهر إنسانية الإنسان "[1] .

إذ بالإضافة إلى الطابع التاريخي للهوية فإنها تأخذت طابعا متفاعلا ومتشابكا مع الخصوصيات المحيطة بها . فالهوية " ليست أحادية البنية ، ولا تتشكّل من مقوّم واحد فحسب ، هو المقوّم الديني وحده ، أو المقوّم الإثني والعرقي والقومي وحده ، أو المقوّم اللغوي وحده ، أو مقوّم الخبرة والممارسة التاريخية التراثية وحدها ، أو المقوّم المصلحي وحده ، وليست هي إيجابية في كلّ عنصر من عناصرها، بل فيها من الإيجابي كما فيها من السلبي ، فيها ما يعبّر عن تقدّم وفيها ما يعبّر عن تأخّر وتخلّف ، وإنّما الهوية هي مركّب وحصيلة من اتّصال وانقطاع وتداخل وتفاعل هذه العناصر جميعا "[2].

وبذلك شكّلت أقنومات " الثقافة / التراث " و" الجغرافيا / المكان " و" اللسان / اللغة " طروحات معيارية لهوية متعددة الأبعاد.

وهو ما يغبر عنه عمار بلحسن بمصطلح " الأمة " كمصطلح محدد لأقانيم الهوية الناجزة تاريخيا / حضاريا ، فـ " الأمة كلية منسجمة متنوعة وملموسة ، مجال جيو-حضاري واقتصاي ولغوي ومجتمعي وعمق تاريخي ... وأنا عاطفية وفكرية ، مندرجة في التاريخ والجغرافيا والكينونة الزمنية واللغوية "[3].

تلك هوية ظلت تبحث عن متنفس للتعبير عن نفسها من خلال ما عانته من تشظّي وفتق لمكوناتها الثقافية والحضارية ، وانطلاقا من ذلك " يحيل ذو القامة النحيفة بلحسن في إحدى مقالاته بعصاب فلسفي وترجمة لغوية كلامية تحسّ بشكل الحزازات ومدى صداها الأدبي إلى الفراغ الثقافي المهول تارة والمتعثّر تارة أخراة في تاريخ الجزائر الثقافي قائلا : " لم تعرف الثقافة الجزائرية المعاصرة سوى الانقطاعات والمفترقات والانشقاقات ولم تتأسس كنسيج من العلاقات والتبادلات والحوارات " إذن هذا الهم الجماعي الذي يعتلي ذاكرتنا ننحف فيه حفر الخطاب المودع لصاحبه ونستخرج نقوش سرمدية تحتاج إلى فكّ العزلة عنها "[4] .

وهنا يقف عمار بلحسن بترسانته المعرفية والأيديولوجية محاولا إعادة تركيب المشهد الثقافي الجزائري المتشكل عبر سراديب النصوص الجزائرية ، باعتبارها كتابة / تعبيرا عن الذات الفردية كما الأنا الجمعية (الهوية) في ألقها وانكسارها ، " كطفل يحترق ومشاغب يشتغل على الحدود القصوى من الذات والتراث ، من الممنوع التاريخاني "[5].

إن عمار بلحسن لم يكن يستسيغ الوقوف أمام إشكاليات الهوية الملتبسة الحدود ، بل راح يبحث في البدائل الممكنة لتخطي بؤرة السؤال أو منطق الشتم الكسول إلى فضاءات المشاركة الفاعلة في رسم الحدود المعرفية لانبثاقات الهوية عبر مسالك النص الذي يخلق من سكونيته حركية دافعة نحو معانقة الشمائل الهوياتية عبر أبعادها / محدداتها الشمولية ، وهي مهمة منوطة بفئة المثقفين، الذين عليهم أن يخرجو من شرنقاتهم الفكرية ليسجلو حضورهم " العضوي " بتعبير غرامشي .

حيث " كان يتساءل هذا الشخص / عمار بلحسن على استراتيجية التسمية وتموقع المصطلح المستقر لها على هذه الفئة التي تتجمع على تأسيس فكرة أنتليجانسيا أم مثقفون . ما زال كبيرا خطابه يهتف في الأذن حي ينبض بالفكر ويعجّ بنزعة ديناميكية تنتج استفهامات تتمركز خلف هاجس Obsession تراثي نخبوي على ثلاث مستويات / التراث والحداثة والتراث الأدبي والفلسفي الاجتماعي، نهتم به كثيرا ويعزز أشياءنا حينما تفقد الكلمات اللسانية انزياحها écart نحو جملة الأقوال المتجاوزة للكلام العادي شارات من المشاغل تتحمّل الأسئلة العنيفة متاعب الكتابة الحفرية العنيفة المتشاكلة الأجناس تلغي الحدود وتحتفل بالضيافة كنموذج لثقافة عمومية واستبطان طواحن مختلف الشرائح "[6].

فالكتابة – كما يعبّر عمار بلحسن – " طقس لـ " التطهير " وعملية " كاتارسيس " على شكل " نثر " الذاكرة والماضي واليومي والمعاش والتاريخ ، هي قول وخطاب الأنا للعالم والآخرين أو رجع صداهم، هي تعبير أيضا ، ولعبة تدمير وتشكيل متخمة بالمعاناة والاحتراق والتفاعل مع ما تراكم من تجارب وحيوات وممارسات ورؤى ولحظات في محرقة هائلة من علاقات جدل الذات مع الموضوع أو العالم، هي بناء أو إعادة بناء أشياء في غاية التنوع والثراء والتشتت والوضوح والغموض والغياب والحضور، هناك مواد الذاكرة المنتقاة وقطع غيار التاريخ والتجربة الخاصة والعامة "[7].

ومن ثم تغدو الكتابة استجابة لسيرورة هوياتية تتسم بالتفاعل والتجدد لا الجمود وفق نموذج أحادي القطبية ؛ هوية تفرضها مستجدات طارئة وحيثيات شكلت لحقب رواسب خامدة قد تحركها أحداث ومجريات تكون بمثابة شرائط للتجدد الهوياتي .

إن جملة هذه الشرائط لا تجعل العودة إلى الهويات الكلاسيكية ، بالمفهوم اللغوي والإثني مشروعة ولا ضرورية، لأن الموقف من التعدد / التجدد هو بمعنى من المعاني موقف من قضايانا التاريخية ، كما

الراهنة ، وبصرف النظر عن الحكم القيمي – إيجابا أم سلبا – على مسألة التجدد، فإن السؤال المطروح : هل نحن بحاجة إلى إعادة إنتاج خطاب / نص أدبي متبلور ضمن شروط ومعطيات تاريخية مختلفة أم أنّ الشروط التاريخية الجديدة ، بما تطرحه من مؤثرات تحيلنا إلى التفكير في ، أو ربما إعادة إنتاج ، شروط أخرى أكثر استجابة لفاعلية التجدد الهوياتي ؟

يقف بلحسن إزاء هذا السؤال ليطرحه بشكل يؤسس لجدلية هوية النص الملتبسة ؛ هوية لا تؤسسها اللغة كأداة ، أو كأبجدية للحبر أو كلسان ، بل تتشكل من ملابسات التوظيف النصي لمعايير انتمائية أخرى تكون أكثر تعبيرا عن الإنسان الجزائري في تفرده ومغايرته .

يقول بلحسن : " هل يمكن التكلم عن أدب وطني ، أدب مجتمع مستقل ، متخطيا نفي النفي، كمسار أعلى من نفي الآخر المستعمر سابقا ، واعيا بملابسات تأسيس لسان وأدبية خاصة وإيجابية ومغايرة ، لا تعرف نفسها ككلية نافية جدالية ، مضادة ، مع أدبية المستعمر التاريخية ، كما عرفها في شكل الأدب والرواية الكولونيالية وأطروحاته ؟ "[8].

إن الكتابة / النص لا يؤسس لهوية تاريخية بقدر ما يرسم مقولات هوية أيديولوجية متبناة اجتماعيا، هوية تتأسس انطلاقا من تثمين التجربة في اشتغالاتها وتفاعلاتها القيمية مع المكتسبات الجديدة / المتجددة .

حيث أضحى الأدب الجزائري / الوطني بعد مرحلة الاستقلال " كتابة – أطروحة تعيد إنتاج أفكار وأطروحات وخطابات الأيديولوجيا الوطنية ، لتحقيق وظيفتي نفي وتعرية الخطاب الأيديولوجي والروائي الكولونيالي والجدالي ، والجدال معه وإنتاج دلالة التحرر ، كدلالة مركزية نافية للرابطة الاستعمارية وطرفيها المستعمِر والمستعمَر معا ، الأجنبي والجزائري"[9].

إن مسألة " الأدب الوطني " كمحدد لهوية أدبية / ثقافية جزائرية ظلت إشكالية مطروحة عبر تجاذبات الرؤى الأيديولوجية لمفهوم " الهوية الوطنية " ككل ، فهل يمكن اعتبار تلك الموجة من الكتابات ذات البعد اللساني الفرانكفوني جزائرية الانتماء ؟ أم إن الشاهد في القضية هو فحوى النص وتمثلات فعل الكتابة كتعبير عن الذات الجمعية دون اعتبار لمسألة اللغة ؟

يتساءل بلحسن عن ذلك : " ما هو الأدب الجزائري ؟ وما معنى الجنسية الأدبية ؟ ثمّة انزلاقات تمت من النقاش الأدبي اللغوي إلى مفردات الخطاب السياسي والأيديولوجي مثل الأصالة ، الهوية، الخصوصية ، الدين ، اللغة وإلى علاقات غامضة استمرت لمدة ربع قرن بعد الاستقلال "[10] .

إن اللغة في نظر بلحسن ماهي إلا قالب أو شكل ، فاللغة لا تعني بالضرورة هوية النص وإحالة لجنسيته أو رصا له في خانة انتمائية معينة .

حيث – كما يقول بلحسن – " لا يمكن اختزال الأدب إلى النص الأدبي إلى اللغة "[11] ، فاللغة مادة النص وأداته ، و " الأدب الوطني ، كمؤسسة ، يعمل بلغتين ، وينتج جزائريته وهويته في سجلين أو مدونتين لغويتين متباعدتين ، إذا غضضنا النظر على تعارضهما التاريخي أو جدالهما التحتي ، الذي يتجلى في انفصال الدائرتين الثقافيتين ، وعدم وجود جسور فعلية بينهما كما هو الحال في بلدان المغرب الأخرى "[12] .

هذه الازدواجية اللغوية لا تنفي عن النص هويته الجزائرية ، لكن هذا لا يعني التغاضي عن إرساء هوية لغوية جامعة للأدب الوطني ؛ ذلك أن الكتابة بلغة الآخر كانت لها حيثياتها ومبرراتها حين كانت الكتابة لا تستهدف فقط الإنسان الجزائري وإنما كانت كذلك بمثابة رد أو لنقل كانت تعبيرا ثوريا عما يضج به الكيان النفسي والاجتماعي الجزائري في ظل الهيمنة الكولونيالية ، فالكتابة بلغة الآخر كانت تعبيرا عن الذات / الهوية في نزوعها وملمحها الثوري.

أما " التعبيرية أو الأدبية الوطنية – آنيا ومستقبليا – مرتبطة برهان اللغة (ت) الوطنية، فبدون لغة توحيدية ليس هناك أدب وطني ، معبّر عن مجتمع مستقل وهوية وطنية وطلب ثقافي وأدبي متزايد لأجيال عربية اللسان والتعليم والتكوين . اللغة التوحيدية هنا لا تعني الأحادية كما يفهم الخطاب اللغوي المشترك بقدر ما تعني وجود لغة ثقافة وأدب وإنتاج مكتوب ، معرضة دائما للتثاقف المجتمعي واللغوي "[13] .

فالهوية إذن ترتسم عبر تجاعيد الكتابة ووفق مقولاتها لا عبر أشكالها وقوالبها اللسانية ، ومن ثمّ تأخذ الهوية أبعادها المشكلة لها من تجاوز السير الخطي إلى منجزات الحفر في الخرائط الدلالية للنص.

وتغدو مسألة الهوية طرحا لمقولات عمار بلحسن من خلال مباحثه في مسألة " الأدب الوطني " ، ليس باعتبار " الوطنية " مقولة سياسية أو أيديولوجية وإنما كونها تأسيسا لملابسات متداخلة ومتفاعلة لترتسم – مشهديا – كمسارات ناجزة للإنسان الجزائري ، تاريخيا وثقافيا ولغويا .

2- الكتابة بين الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف :

إن مساءلة مسألة الاختلاف في الرؤية الفكرية لعمار بلحسن ليسترعي طرح نصوصه – لاسيما النقدية منها – على مشرحة التحليل بغية رصد تجلياته ومحدداته المعرفية وكذا خلفياته الفلسفية التي يتأسس وفقها ؛ ذلك أن الاختلاف لا يعني بالضرورة تكريسا لثقافة المغايرة ، أو التميّز الهوياتي، حيث أنّ التعدّد / التنوّع الهوياتي يشكّل مظهرا من مظاهر النواميس المؤطرة للكينونة الإنسانية المبنية على أسس الاختلاف ، وهي ظاهرة طبيعية وشاملة من حيث التوزع الجغرافي والتاريخي للكيانات السياسية والثقافية الحديثة ، إلا أنها اتخذت مسارات للصراع بين مختلف الثقافات والإثنيات ؛ فالحروب

الدينية والخلافات الأيديولوجية شابت مختلف أطوار السيرورة الإنسانية ، لكن بلحسن ، وفق طروحاته الرؤيوية، يبسط مفاهيم للاختلاف قوامها " الحوارية " و"التفاعل الديناميكي " ، وذلك انطلاقا من فيوضات " الكتابة " باعتبارها فعلا ورؤية ورؤيا وإنتاجا لـ " النص" وتأطيرا له .

فهو ومن خلال بسطه النقدي لسجالات فعل " الكتابة " في المشهد الأدبي الجزائري ، ووفق عرضه لرؤى متباينة حول مسألة " الأدب الوطني " و" هوية النص " يقرر بأنّ ما يذهب إليه ليس تقريرا ينماز بـ " الإطلاقية " وإنما هو " اقتراح سؤال عن وطنية الكتابة ، أي عن نص يمتلك واقعا خصوصيا، بما هو علاقات مجتمعية ، ليرتقي به عبر عمل يتسم بمعاناة كثيفة ، ومجابهة وجهاد نفسي – إبداعي، زخم ووحيد ، أمام نصوص ورؤى متعددة- إلى مصاف أدب عالمي يمتلك عناصره الكونية ويشير إلى الإنسان في اختلافه وتعدده "[14].

إن النص الأدبي –باعتباره كتابة وباعتبار الكتابة رمزا عن هوية مكبوتة أو مقموعة – هو فضاء للاختلاف وليس للقبوع في " هوية تراثية " تؤسس للأحادية الانتمائية ، أو بتعبير بختي بن عودة فإن " مشروطية المغايرة ... هي ما يسمح ، وفي مجتمع كالمجتمع الجزائري، بتحويل مصادر إنتاج الرمز من شرعية التاريخ إلى شرعية الفكر ، وتقدير فاعلية ذلك لدى الفواعل الحقيقيين أي كيفية الانتقال من وعي إلى آخر "[15].

وانطلاقا لفهم مشروطية الاختلاف والمغايرة كونها وعيا وجوديا يؤسس لكيان متفاعل مع التاريخ وضمنه ، فإن النص / الكتابة تضحي بمثابة بسط لقيم تكاملية تشكّل مجتمعة أواصر هوياتيو سيمتها التعدد والتنوع والتماس الإيجابي مع الآخر / المختلف .

ومن هنا يتساءل عمار بلحسن " كيف يجد المرء مكانا مشروعا بين الأحياء وكيف يستحق موته بين الأموات ، متعاليا على انكسارات قلاقل التاريخ ، متجاوزا لنشأته المعطوبة وصراعاته المريرة داخل الرابطة الكولونيالية ، معيدا تأسيس أناه واختلافاته وتعدده المفتوح من شظايا التهميش والإخضاع والإلحاق ، كعلاقات ملموسة للوضع الاستعماري السابق "[16].

فالاختلاف / المغايرة كحق وجودي لا ينفي ذلك التفاعل الإيجابي مع المرتكزات التاريخية التي تؤسس للتوجهات الثقافية والأدبية لجى عمار بلحسن ، كما أن التعبير بلغة الآخر ليس بالضرورة ذوبانا فيه ولا انزياحا عن مفهوم الاختلاف الذي يؤسسه النص ، حيث – كما يقول بلحسن – " كان محمد ديب قد أشار في الخمسينات التي تزامن الكفاح الوطني مع بروز أدب وطني ، في جزائر تعاني بصعوبة من إنتاج أدب مكتوب بالعربية فتستعمل اللغة الفرنسية لتعبر عن هويتها "[17].

وحتى ذلك الأدب الذي نشأ في ظروف تاريخية وأيديولوجية تؤسس لنفي الآخر / المغاير/ المختلف " لا يدلّ على استقلالية الحقل الأدبي ووطنيته . فأغلب الإنتاجات الدالة بدء من وطار إلى ميموني اكتسبت مشروعيتها الأدبية والنقدية من مؤسسات أدبية خارجية (المشرق ، فرنسا) وبقي " الحقل الأدبي " الوطني هشا وغير مستوعب وتابعا . ومن المهم هنا تحليل تبعية من هذا النوع ودورها في إعاقة نشوء ونمو أدب يجيب على حاجيات قراء مجتمع ووطن معين في تعدده واختلافه "[18].

كما أن نفي الاختلاف هو إلغاء لوظيفة الأدب في حدّ ذاته ، بل دفع به إلى زاوية الانكفاء والتقوقع داخل سجالات الخطابات الرسمية المؤسسة للأيديولوجية السلطوية التي ترى من منظار توجهاتها الأحادية ؛ سلطة عملت على رفض وتهميش كل ذات مفكرة تغرد خارج أسرابها الأيديولوجية والرؤيوية.

وبالرغم من أن " كل ثمرة فكرية (تتخللها نظرة ثاقبة وغير راضية ، بمعنى رافضة مبدئيا أن تكون مجاراة للقول وبالتالي للحقيقة حول هذا القول) هي جذريا نواة نقدية "[19] – كما يعبر بختي بن عودة – إلا أن السلطة ألجمت الكتابة خارج الصندوق ، وهو ما يجسّد فعلا لقمع الاختلاف المؤسس ليس فكريا / أيديولوجيا وحسب وإنما مجتمعيا وهوياتيا كذلك .

ف " قراءة وتلقي الأدب الجزائري إشكالية عويصة ، تلقمها الازدواجية اللغوية والتعصبات الأيديولوجية والوضع الثقافي الفقير نسبيا مما ينتج " اختناقا " على حدّ تعبير جمال الدين بن الشيخ ناتجا عن إرادة السلطة في إلحاق الأدب واستيعابه داخل دولاب الإدارة والمنظومة الأيديولوجية الحزبية. مع مخاطر هذا الإلحاق ونتائجه الكارثية على مستوى الكتّاب والأدباء. صمت وعزلة . حرج وهجرة ، استقلالية وهامشية . غياب أي سلطة للأدب . ظهور أدب داخلي (يمتاز بالرداءة الأيديولوجية الفنية) هجرة القراء نحو الآداب الخارجية... الخ ، وقد أثبتت كثير من الدراسات السوسيولوجية حول القراءة والمتلقي استمرار الموديلات والقيم الخارجية بدون وجود مركزية ووطنية للأدب الجزائري "[20].

إن غياب ثقافة الاختلاف يؤدي إلى انسحاب فعل الكتابة نحو فضاءات تعبيرية أخرى تجسّد هشاشة النوازع العلائقية بين الحقل الأيديولوجي والمضمون الفني / التصويري ، ومن ثم يضحي النص بمثابة رصّ لغوي موات لا حراك فيه .

فالمجتمع الجزائري – كما العربي – ليس بنية واحدة ، أحادية التركيبة الثقافية والأيددیولوجية والتراثية ، وإنما هو توليفة من مجموعة من الأقنومات المشكّلة لهويات متجانسة ومتعايشة ؛ هويات تتأسس من منطلق الاختلاف اللساني والتفكيري والاجتماعي وحتى الديني / العقائدي .

وهذه الهويات تعبّر عن نفسها انطلاقا من حضورها كنص وعبر النص ، ومن ثمّ تشكل منطلقا لتجسيد مبدأ الاختلاف ، ومن ثم يمكن القول أن مسألة الرؤية الأفقية للأدب الوطني تطرح إشكالات على مستوى فعل الكتابة .

ذلك أن " إشكالية الكتابة والثقافة والفكر والأدب في الجزائر والوطن العربي هي علاقات مع التراث، أو التراثات على الأصح ، لأنه ليس هناك تراث بالمفرد بل هناك تراثات وتراكمات فكرية وإبداعية غاية في التنوع والتداخل "[21].

ومن ثمّ – وفق طرح عمار بلحسن - فإن الكتابة تضحي تعبيرا عن الاختلاف واختلافا في التعبير ، ولا يمكن بحال أن نؤسس لنص يزكّي هوية دون باقي الهويات ؛ نص يلغي التعدد ويرسخ التفرّد ، لأن ذلك يغدو بمثابة تضييق لمفهوم الهوية في حدّ ذاته .

خاتمة :

تتشكل محددات الهوية وفق مبدأ للاختلاف ويضحي الاختلاف أفقا لرسم معالم انتمائية في طروحات عمار بلحسن ، وبعيدا عن المزايدات الأيديولوجية واللغوية فإن النص الأدبي الجزائري ، وباعتباره كتابة عبر تجاعيد الذاكرة يحيل إلى تلك الممارسات والمنجزات الهوياتية المعقدة والمركبة من أقانيم متعددة ، تتسم بالتفاعل والانسجام.

كما أن مسألة " الأدب الوطني " كأحد تلوينات الهوية لا يمكنه أن يتأسس وفق إلغاء شرط الاختلاف من منطلق المتن كما خلال تحقق من خلال فيوضات الدفق اللساني في مرحلة من مراحل تشكله ، عبر تسويغاته الأيديولوجية التي جاءت انعكاسا لذلك الحراك التثويري في مرحلة النضال الوطني في مرحلة الهيمنة الكولونيالية والذي امتدّ إلى ما بعد الاستقلال .

ويضع بلحسن صورة لمفهوم " الوطنية " في الأدب من خلال ربطها بالسياقات الاجتماعية والتاريخية والثقافية للإنسان الجزائري بعيدا عن محاولة " الاحتواء " الممارس من لدن السلطة السياسية التي جعلت من خلال ممارساتها التوجيهية لفعل الكتابة النص عبارة عن تعبير عن أيديولوجيا سياسية لا عن أيديولوجيا هوياتية

إحالات البحث

[1]- محمود أمين العالم : حول مفهوم الهوية ، مجلة العربي (كويتية) ، ع437 ، أبريل 1995 ، ص 20.

[2]- م.س ، ص .ن .

[3] - عمار بلحسن : أسئلة النص ، دراسات سوسيونقدية للأدب الجزائري ، مجلة التبيين ، مؤسسة الجاحظية ، الجزائر ، ع7 ، أبريل 1993 ، ص 85.

[4] - الزين نور الدين : الكتابة والنص ، القراءة في مساءلة الذات في الخطاب النصي ، موفم للنشر ، الجزائر، 2014 ، ص 105.

[5] - نفسه ، ص 106.

[6] - نفسه ، ص106-107.

[7] - عمار بلحسن : حول إشكالية الكتابة القصصية العربية ، حوار أجراه معه بختي بن عودة ، مجلة مواقف (لبنان) ، ع51-52 ، يونيو 1984 ، ص 189.

[8] - عمار بلحسن : أسئلة النص ، دراسات سوسيونقدية للأدب الجزائري ، مجلة التبيين ، مؤسسة الجاحظية ، الجزائر ، ع7 ، أبريل 1993 ، ص 84.

[9] - المرجع السابق ، ص85.

[10] - نفسه .

[11] - المرجع نفسه ، ص91.

[12] - م.س،ص.ن .

[13] - م.ن ، ص.ن.

[14] - المرجع نفسه ، ص94.

[15] - بختي بن عودة : رنين الحداثة ، منشورات الاحتلاف ، الجزائر ، ط1 ، 1999 ، ص 178.

[16] - عمار بلحسن : أسئلة النص ، دراسات سوسيونقدية للأدب الجزائري ، مجلة التبيين ، مؤسسة الجاحظية ، الجزائر ، ع7 ، أبريل 1993 ، ص 83.

[17] - نفسه ،ص 84-85.

[18] - نفسه ، ص 87.

[19] - بختي بن عودة : ظاهرة الكتابة في النقد الجديد ، مقاربة تأويلية ، صفحات للنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2013 ، ص 39.

[20] - عمار بلحسن : أسئلة النص ، دراسات سوسيونقدية للأدب الجزائري ، مجلة التبيين ، مؤسسة الجاحظية ، الجزائر ، ع7 ، أبريل 1993 ، ص 87.

[21] - عمار بلحسن : حول إشكالية الكتابة القصصية العربية ، حوار أجراه معه بختي بن عودة ، مجلة مواقف (لبنان) ، ع51-52 ، يونيو 1984 ، ص 182.